

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
جامعة سنجي

كلية التربية

الثانوي

صفحة 2018م

مقرر العقيدة الإسلامية 2

الفصل الدراسي الثامن

جمع وترتيب/ الدكتور علي سراج الدين علي

سبتمبر 2024م

الإيمان برسالة الأنبياء

يقول الشيخ عبد الرزاق رحمه الله: (يجب الإيمان برسالة كل من ثبتت رسالته بالقرآن أو السنة الصحيحة فمن آمن ببعضهم وكفر ببعض فقد كفر لقوله تعالى: {أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله} وقال تعالى: {إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً* أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً* والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً}). ويقول الشيخ رحمه الله كذلك: (وجوب تكليف العباد بما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام .. عقيدة وعملا).

الإيمان بأنبياء الله ورسله ركن من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، وهذا الركن لا بد له من أربعة أمور:
الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، ومن لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً فإن الله رسلاً وأنبياء لا يعلم عددهم وأسماءهم إلا هو سبحانه.

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد - ﷺ - المرسل إلى جميع الناس.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وبالجملة فينبغي للعاقل أن يعلم أن قيام دين الله في الأرض إنما هو بواسطة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلو لا الرسل لما عبد الله وحده لا شريك له، ولما علم الناس أكثر ما يستحقه سبحانه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، ولا كانت له شريعة في الأرض).

قال ابن كثير رحمه الله: (والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية). فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعضهم أو كلهم لا غبار على وضوح كفره لأن كفره بالرسل كفر بالله تعالى.

ويحكي ابن تيمية رحمه الله الإجماع على كفر ساب نبي من الأنبياء أو إنكار رسالته، فيقول: (من خصائص الأنبياء أن من سب نبياً من الأنبياء قتل باتفاق الأئمة، وكان مرتداً، كما أن من كفر به وبما جاء به كان مرتداً، فإن الإيمان لا يتم إلا بالإيمان بالله وملائكته ورسله).

ويقول أيضاً: "والمسلمون آمنوا بالأنبياء كلهم ولم يفرقوا بين أحد منهم، فإن الإيمان بجميع النبيين فرض واجب ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم، ومن سب نبياً من الأنبياء فهو كافر يجب قتله باتفاق العلماء".

ويقول ابن تيمية رحمه الله: "وسبهم أي الأنبياء كفر وردة إن كان من مسلم، ومحاربة إن كان من ذمي".

- حاجة البشر إلى الرسل:

يبين الشيخ رحمه الله حاجة البشر إلى الرسل، فيقول: "لا يليق بعقل رشيد عرف كمال حكمة الله وسعة رحمته، وعرف واقع الناس وما هم فيه من هرج ومرج وفساد وضلال؛ أن ينكر حاجة البشر إلى قيادة رشيدة، عمادها وحي الله وشريعته، تعتصم به، وتدعو الناس إليه، وتهديهم إلى سواء السبيل. فإن الإنسان قد يقصر عقله في كثير من أحواله وشؤونه ... وقد يعجز عن العلم بما يجب عليه عمله ... فكان في ضرورة إلى معين يساعده في ما قصر عنه إدراكه أو عجز عنه فهمه، ويهديه الطريق في أصول دينه ... ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب".

وقال كذلك في حديثه عن حاجة البشر للرسل: "بل في أشد الضرورة إليهم؛ لأن عقول الناس مختلفة أعظم اختلاف، ولا تستطيع أن تستقل بمعرفة ما يرضي الله سبحانه أو يسخطه من الأقوال والأعمال والعقائد، ومن أجل ذلك أرسل الله رسله من نوح عليه الصلاة والسلام إلى أن ختموا بنبينا محمد - ﷺ - الذي بعثه الله بدين شامل كامل باق عام للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين".

ويؤكد ابن القيم على ضرورة وأهمية الإيمان بالأنبياء عليهم السلام، فيقول: "لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله ألبته إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق، ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على

أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأعمال والأخلاق، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأى ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين، فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي وما لجرح بميت إيلام".

"قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} ولهذا أعطى الله البشر عقولا، وأرسل إليهم رسلا، وأنزل عليهم كتباً، ولو كان الغرض من خلقهم كالغرض من خلق البهائم لصاعت الحكمة من إرسال الرسل، وإنزال الكتب؛ لأنه في النهاية يكون كشجرة نبتت، ونمت، وتحطمت، ولهذا قال تعالى: {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد} فلا بد أن يردك إلى معاد تجازى على عملك إن خيراً فخير، وإن شراً فشر".

- **سبب جعل الرسل من البشر:** أما إرسالهم من البشر فلأن ذلك أكمل في إقامة الحجة لكونهم من جنسهم يستطيعون التفاهم معهم وسؤالهم عما يهمهم ويتمكنون من فهم كلامهم؛ لقول الله عز وجل: {وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً} قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً { وقال تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم} .

- **الفرق بين الرسل:** الفرق بين الرسل في المكانة والمنزلة والتفاوت بينهم في الفضل والدرجة فهذا صحيح ورد به النص الشرعي، قال تعالى: {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات} وأفضلهم أولو العزم، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وأفضل هؤلاء الخمسة الخليلان إبراهيم ومحمد لاختصاصهما بالخلعة وهي كمال المحبة عليهم الصلاة والسلام، وأفضل الرسل على الإطلاق خاتم النبيين محمد عليهم الصلاة والسلام؛ لحديث: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع) وحديث: (أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر ...) وحديث: (أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة) وأحاديث اختصاصه بالشفاعة العظمى وإقامه عليها بعد اعتذار الأنبياء عنها، وإنقاذ الناس من هول الموقف بشفاعته لهم وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في تفضيله، وإجماع الأمة على ذلك".

الأدب عند المفاضلة بينهم، ينبغي للمسلم أن يتأدب مع الأنبياء فلا يخوض في التفضيل بينهم إلا في مقام التعليم والإرشاد ونحو ذلك، خشية أن يجر ذلك إلى الجدل والتفاخر، وأن يكون ذريعة إلى انتقاص بعضهم، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه** أنه قال: (استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال اليهودي في قسم يقسمه: (والذي اصطفى موسى على العالمين) فرفع المسلم يده فلطم وجه اليهودي، فقال: (أي خبيث وعلى محمد ﷺ)، فجاء اليهودي إلى النبي ﷺ فاشتكى المسلم، فقال رسول الله ﷺ: (لا تفضلوني على الأنبياء ...) الحديث، فنهى عن الدخول في المفاضلة بينه وبين الأنبياء في مثل هذه الحالة؛ خشية أن يجر إلى ما لا تحمد عقباه، وإن كان تفضيل بعضهم على بعض ثابتاً في القرآن والسنة، وتعين من هو أفضل ثابتاً بالنص الصريح".

وقد أجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء، والرسل بعد ذلك متفاضلون فيما بينهم كما قال تعالى: {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات} وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس}. تواترت نصوص الكتاب والسنة نصاً وظاهراً في الدلالة على أفضلية محمد ﷺ على غيره من الأنبياء والرسل، وأوردها غير واحد من أهل العلم ممن كتبوا في خصائصه ﷺ وأجمعت الأمة على القول بمقتضاها. يقول القاضي عياض رحمه الله: "لا خلاف أنه أكرم البشر، وسيد ولد آدم، وأفضل الناس منزلة، عند الله، وأعلاهم درجة، وأقربهم زلفى، واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جداً". والعبد الرسول أفضل عند الله من النبي الملك، ولهذا كان أمر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى أفضل عند الله من داود وسليمان ويوسف. ويبين ابن أبي العز رحمه الله أوجه الجواب عما ورد من النهي عن التفضيل بين الأنبياء مع ثبوته في الكتاب والسنة، فأجاب على هذا بما يلي: "

1 - أن النبي ﷺ إنما نهى عن تفضيله على موسى لسبب، ما وقع بين المسلم واليهودي. فنهى النبي ﷺ عن هذا التفضيل لأنه على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس وهو أمر مذموم، بل حتى الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام يكون مذموماً حابطاً إذا كان على وجه الحمية والعصبية وليس لإعلاء كلمة الله.

2 - أن النبي ﷺ نهى عن التفضيل الذي يؤدي إلى تنقص المفضول، ومعلوم أن هذا لا يجوز، فلا يحل تنقص الأنبياء عليهم السلام.

3 - أن النبي ﷺ إنما نهى عن التفضيل الخاص، كقول "محمد ﷺ أفضل من موسى"، أما التفضيل العام بدون ذكر عين المفضول المقابل فلا بأس به، كما دلت عليه الأحاديث.

4 - أما حديث: (لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى) فهذا يدل على العموم، أي لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى عليه السلام وليس فيه نهى المسلمين أن يفضلوا محمداً ﷺ على يونس، لأن التفضيل هنا يكون خاصاً بمحمد ﷺ وهو مستثنى من العموم".

- هل يكون في حق الأنبياء والرسول الخطأ؟ الأنبياء والرسول قد يخطئون، ولكن الله تعالى لا يقرهم على خطئهم، بل يبين لهم خطأهم رحمة بهم وبأممهم، ويعفو عن زلتهم، ويقبل توبتهم فضلاً منه ورحمة، والله غفور رحيم". قال شيخ الإسلام رحمه الله: "القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الأمدي واستدل أهل السنة والجماعة على قولهم بأدلة من الكتاب والسنة:

من الكتاب

- قوله تعالى: {وعصى آدم ربه فغوى}.

- وقوله عن موسى عليه السلام: {قال رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي}.

- وقوله عن يونس عليه السلام: {لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين}.

- وقوله تعالى عن نبيه محمد ﷺ: {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر}

ومن السنة

- حديث الشفاعة واعتذار الأنبياء عنها حتى تصل إلى نبينا ﷺ فيشفع. وأما قولهم إن الذنوب تنافي الكمال، فهذا صحيح مع عدم التوبة ولكن مع التوبة فغير صحيح لأن التوبة تغفر الحوبة، ولا تنافي الكمال، ولا يتوجه إلى صاحبها الذم واللوم، بل إنه في أحيان كثيرة يكون العبد بعد توبته خيراً منه قبل وقوع الذنب، وذلك لما يقوم في قلب العبد من الإنابة والخوف والخشية من الله سبحانه وتعالى، يدفعه إلى كثرة الاستغفار وبذل الجهد في العمل الصالح لمحو السيئات. وقد قال تعالى في فضل التوبة: {إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين} وقال عليه الصلاة والسلام: (لله أفرح بتوبة عبده من أحكم سقط على بغيره وقد أضله في أرض فلاة).

فالأنبياء صلوات الله عليهم لا يقرون على الذنب، ولا يؤخرون التوبة، فالله عصمهم من ذلك وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها.

- عدد الأنبياء والرسول: لا يعلم عدد الأنبياء والرسول إلا الله؛ لقوله تعالى: {ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك} والمعروف منهم من ذكروا في القرآن أو صحت خبره السنة". فيجب الإيمان بما سمي الله تعالى في كتابه منهم، والإيمان بأن الله تعالى سواهم رسلاً وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا هو سبحانه. وقد ورد في تحديد عدد الأنبياء والرسول أحاديث مختلف في ثبوتها، منها ما ذكر في سؤال أبي ذر للنبي - ﷺ -، عن عدد الأنبياء، فقال: (مائة ألف وعشرون ألف)، وفي رواية: (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرسول منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وفي رواية: ثلاثمائة وخمسة عشر).

الفرق بين النبي والرسول : وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول، وأحسنها. أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول. فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسول، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس. فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها.

النبي لغة: مشتق من النبأ فهو منبئ عن الله أي مخبر. وقيل: مشتق من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض. والرسول لغة: مشتق من رَسَلَ. وأصل الرسل الانبعاث على التودة يقال: ناقة رسله سهلة السير وإبل مراسيل منبعثة انبعاثا سهلا ومنه الرسول المنبعث.

إمكان الوحي والرسالة: الوحي لغة: الإعلام في خفاء بإشارة، أو كتابة، أو إلهام، أو مناجاة، أو نحو ذلك. وشرعاً: هو إعلام الله نبيه بحكم شرعي، ونحوه، بواسطة، أو بغير واسطة.

علامات الساعة

جاء في حديث الإيمان (قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل). ومعنى قوله: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) أن علم الساعة استوى الخلق فيه حتى الملائكة والرسل لا يعلمون ذلك، وإنما هو مستأثر عند الله جل وعلا لا يعلم وقتها إلا الله جل وعلا كما أخبر جل وعلا أنه أخفى علم الساعة عن جميع الخلق: {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى} فهي واقعة ولكن وقت وقوعها غير معلوم. يقول علماء التفسير في معنى قوله: (أكاد أخفيها) قالوا: قد أخفاها الله عن الخلق لكن المعنى: لو أمكن أن أخفيها عن نفسي لأخفيها وهذا إخبار عن شدة إخفائها، فلا أحد يعلمها والله الحكمة في ذلك.

ولهذا عدل عن ذلك إلى السؤال عن أماراتها أو علاماتها التي تكون قبلها وعلاماتها كثيرة ومن أول تلك العلامات: بعثة رسول الله ﷺ، فهو نبي الساعة وعلى أمته تقوم الساعة، والله جل وعلا يقول: {أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} يعني أنها قريبة وما ذكر الله جل وعلا أنه قريب فهو قريب بلا شك وقد مضى على بعثة النبي ﷺ ألف وأربعمئة عاماً وكان بعض العلماء يتوقع من هذه الأمة ألا تبلغ الألف عام وبعضهم يتوقع أنها تبلغ الألف ولكن هذا كله لا دليل عليه ولا أمارات عليه فأمر ذلك إلى الله جل وعلا لا يعرفه إلا الله، وتنقسم علامات الساعة إلى:

علامات الساعة الصغرى:

... العلامات الصغرى لقرب يوم القيامة كثيرة وردت بها الأحاديث الشريفة، وخلاصتها انتقاض عرى الدين الإسلامي وانتكاس الفطرة الإنسانية. ومن أمثلتها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال: (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم (أي العلم بالله وبدينه) ويظهر الجهل، ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان (أي تذهب بركة الأيام فتمر بدون الاستفادة المطلوبة منها) وتظهر الفتن ويكثر الهرج (القتل) حتى يكون فيكم المال فيفيض). وعنه أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: متى الساعة؟ فقال: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة). قال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا أسند الأمر لغير أهله فانتظر الساعة).

وعنه أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقته إلا الغرق فإنه من شجر اليهود).

2 - العلامات الكبرى وأهمها الآيات الآتية:

1 - طلوع الشمس من المغرب: وهي أول الآيات الكبرى المؤذنة بتغيير أحوال العالم العلوي حتى ينتهي بقيام الساعة. روى عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى. وأيتهما كانت قبل صاحبيتها فالأخرى على أثرها قريباً)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً).

وطلوع الشمس من المغرب يكون في يوم ثم تطلع من الشرق كعادتها وإذا طلعت من المغرب غربت في المشرق. وحينئذ يغلّق باب التوبة إلى يوم القيامة على القول الراجح بالنسبة لمن طلعت عليهم وهم بالغون لقوله تعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا}. والمراد ببعض آيات الرب طلوع الشمس من المغرب كما في الحديث السابق.

- 2 - خروج الدابة:** والظاهر أن خروجها يكون في زمن طلوع الشمس من مغربها كما في فتح الباري لابن حجر أخذاً مما سبق. قال تعالى: {وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون}. قال ابن كثير: هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق. وهذه الدابة قيل تخرج من مكة وقيل من غيرها. وحين تخرج تكلم الناس وتخبرهم بما هم عليه من إيمان أو كفر ومن صلاح أو فسق وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم فائدة ذلك. فإن التوبة لا تقبل بالنسبة لمن رآها أو علم بها وهو مكلف..
- 3 - خروج المسيح:** وسمي المسيح لأنه يمسح الأرض ويقطعها في أربعين يوماً ولأنه ممسوح نور العين اليمنى وهو الآية الكبرى المؤذنة بتغيير الأحوال العامة في معظم الأرض. وهو أول هذه الآيات. وقد وصفه النبي ﷺ وصفا كافيا لتكون منه على حذر ولتنجو من فتنته. فعن أبي سعيد الخدري قال: (حدثنا النبي حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدثنا قال: يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة. فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال أرايتم إن قتلتم هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر فيقولون: لا. فيقتله ثم يحييه. فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه)
- وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: (ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته من الدجال. وإنه يخرج فيكم فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس بأعور وإنه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبه طافية).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدثه نبي قومه؟ إنه أعور وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار فالتى تقول: إنها الجنة هي النار، وإنني أنذركم به كما أنذر به نوح قومه). وعن حذيفة أن النبي ﷺ قال: (إن مع الدجال إذا خرج ماء ونار فأما الذي يرى الناس أنه نار فماء عذب وأما الذي يرى الناس إنه ماء فنار تحرق. فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار فإنه ماء بارد عذب).
- ومن حديث النواس بن سميان قال: (قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال أربعون يوماً. يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة. وسائر أيامه كأيامكم. قلنا يا رسول الله. فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال. لا. اقدروا له قدره)
- 4 - نزول المسيح عيسى عليه السلام وقتله الدجال:**
- دلت السنة على أن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل قرب الساعة ويقتل الدجال ويحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ ويمكن في الأرض ما شاء الله أن يمكن. ثم يموت ويصلي عليه المسلمون.
- فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها. ثم قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً} وعن عروة بن مسعود الثقفي قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: (يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين: لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً. فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه. ثم يحكم الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة. ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً. ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون ما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم. ثم ينفخ في الصور فيصعق الناس ثم ينزل الله مطراً كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ثم يقال: ياأيها الناس هلم إلي ربكم وقفوهم إنهم مسئولون ثم يقال: أخرجوا بعث النار فيقال: من كم؟ فقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال: فذلك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق)
- 5 - يأجوج ومأجوج:**
- قال تعالى: {حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون}.

قال ابن كثير في تفسيره: إنهم من سلالة آدم عليه السلام بل هم من نسل نوح أيضا من أولاد يافث أبي الترك والترك شرذمة منهم تركوا وراء السد الذي بناه ذو القرنين وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية وأن خروجهم يكون مع وجود عيسى ونزوله .

فعن عبد الرحمن بن جبيرة بن نفير الحضرمي عن أبيه أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في ناحية النخل فقال: غير الدجال أخوفني عليكم فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيح نفسه والله خليفتي على كل مسلم وإنه شاب جعد قطط عينه طافية وإنه يخرج خلة بين الشام والعراق فعات يميننا وشمالا يا عباد الله اثبتوا قلنا يا رسول الله: ما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوما. يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم. قلنا يا رسول الله. فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: لا. اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله: فما إسراره في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح قال: فيمر بالحي فيدعوهم فيستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث وتروح عليهم سارحتهم وهي أطول ما كانت ذرى وأمه خواصر وأسبعه ضروعا ويمر بالحي فيدعوهم فيردون عليه قوله فتتبعه أموالهم فيصبحون محملين ليس لهم من أموالهم شيء ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل قال: ويأمر برجل فيقتل فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل إليه فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل المسيح عيسى بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا يديه على أجنحة ملكين فيتبعه فيدركه فيقتله عند باب لد الشرقي قال فبينما هم كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم عليه السلام أني قد أخرجت عبادا من عبادي لا يدان لك بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور فبيعت الله عز وجل يأجوج ومأجوج (وهم من كل حدب ينسلون) فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل نغفا في رقابهم فيصبحون كموت نفس واحدة فيهبط عيسى وأصحابه فلا يجدون في الأرض بيتا إلا قد ملأه زهمهم ومنتهم فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله) قال ابن جابر: فحدثني عطاء بن يزيد السكسكي عن كعب أو غيره قال فتطرحهم بالمهيل. قال ابن جابر: فقلت يا أبا يزيد: وأين المهيل؟ قال: مطلع الشمس قال: ويرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر أربعين يوما، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة. ويقال للأرض: أنبتي ثمرك، ودري بركتك، قال: فيومئذ يأكل النفر من الرمانة فيستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر تكفي الفخذ، والشاة من الغنم تكفي أهل البيت، قال فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم أو قال مؤمن ويبقى شرار الناس يتهاجون تهارج الحمر وعليهم تقوم الساعة)

6 - الريح التي تقبض أرواح المؤمنين:

وقد ذكرت الريح في الحديثين السابقين: حديث عروة ابن مسعود، وحديث النواس بن سمعان السالف فلا داعي لإعادة ذكر الأدلة.

الإيمان في اللغة: الإيمان في اللغة: التصديق، لقوله تعالى: {وما أنت بمؤمن *لنا ولو كنا صادقين}.

محل الإيمان: محل الإيمان بمعنى التصديق الجازم هو القلب، لقوله تعالى: {ولما يدخل الإيمان في قلوبكم}، {إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون}، ولحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خردل من إيمان فأخرجوه)

الإيمان بمعنى التصديق: ويجيء لفظ الإيمان في لسان الشرع مرادا به التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر كله خيره وشره، حلوه ومره لقوله تعالى: {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله} ولحديث سؤال جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (أخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره حلوه ومره).

الإيمان بمعنى الأعمال الظاهرة: ويجيء في لسان الشرع أيضا مراداً به الأعمال الظاهرة من الأقوال والأفعال المبنية على التصديق واليقين، لحديث وفد عبد القيس قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أمرهم النبي ﷺ بالإيمان بالله وحده، وقال ﷺ: هل

تدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمسا من المغنم) .

تلاقي معنى الإسلام والإيمان: قد توارد لفظ الإسلام ولفظ الإيمان على اعتقاد القلب الجازم، والأعمال الظاهرة من قول وغيره المبنية على ذلك الاعتقاد، لحديث جبريل المتقدم في تفسير الإسلام وحديث وفد عبد القيس المتقدم في تفسير الإيمان **حقيقة الدين:** الدين كله عقد بالقلب ونطق باللسان، وعمل بالجوارح الظاهرة والباطنة. وكل واحد من الثلاثة يسمى إيمانا باعتبار، ويسمى إسلاما باعتبار آخر.

- 1 - فقد القلب يسمى إيمانا لأنه تصديق، ويسمى إسلاما لأن عقد القلب على الشيء إذعان وخضوع له.
 - 2 - ونطق اللسان بالشهادتين يسمى إيمانا لأنه دليل على التصديق ويسمى إسلاما لأنه دليل على الخضوع والانقياد.
 - 3 - والزكاة مثلا تسمى إيمانا لأنها مبنية على التصديق، وثمرة من ثمراته، وتسمى إسلاما لأنها انقياد وإذعان.
 - 4 - والحب في الله مثلا يسمى إيمانا لأنه مبني على التصديق وثمرة من ثمراته، ويسمى إسلاما لأنه انقياد وإذعان .
- الإيمان قول وعمل:** الإيمان في الوضع الشرعي هو قول باللسان وعمل بالقلب وعمل بالجوارح، فمن استكمل ذلك استكمل الإيمان، ومن لم يستكمله لم يستكمل الإيمان لقوله تعالى: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم} {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون} ولقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ولقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ولقوله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)

الإيمان يزيد وينقص: الإيمان يزيد وينقص، يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها لقوله تعالى: {وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا} ولقوله تعالى: {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل} ولقوله ﷺ: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)

التصديق يقوى ويضعف: التصديق الذي هو الجزء الأصلي في الإيمان يقوى ويضعف يقوى بالنظر في الآيات الكونية والتدبر في الآيات السمعية والتقرب بالعبادات الشرعية ويضعف بضد ذلك، لقوله تعالى: {ولكن ليطمئن قلبي} ولقوله تعالى: {وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين} ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر عن معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ولحديث حنظلة الأسدي رضي الله تعالى عنه -وكان من كتاب رسول الله ﷺ- قال: «لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله ما تقول؟! قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ نذكرنا بالنار والجنة، حتى كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا، قال أبو بكر: إنا لنلقى مثل هذا! فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك نذكرنا بالجنة والنار حتى كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا. فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة: ساعة وساعة وساعة وساعة وساعة وساعة)

مشمات اليوم الآخر

يشتمل اليوم الآخر أمورا كثيرة المذكور منها ههنا أحد عشر وإليك بيانها:

البعث: وهو إحياء الله الموتى ليلقى كل منهم جزاءه، الذي قدر له من نعيم أو عذاب. قال تعالى: {ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون} وقال تعالى: {ذلك بأن الله هو الحق، وأنه يحيي الموتى، وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور}. وقال تعالى: {يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه، والله على كل شيء شهيد} وقال تعالى: {زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بل يلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما علمتم وذلك على الله يسير}

وقال تعالى: {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه} (أي هين عليه) . وقال تعالى: {وضرب لنا مثلا ونسي خلقه، قال من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم}. وعن كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه". أخرجه مالك، وأحمد، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي بسند صحيح. وهذا البعث مع ثبوته شرعا بأدلة قطعية فهو يعتبر ضرورة حيوية بالنسبة للإنسان، ولا يتصور عقل عاقل يؤمن بالله تعالى أن ينتهي أمر الخلائق بمجرد موتهم، لأن الله تعالى خلقهم لغاية، وأنزل إليهم الكتب وأرسل الرسل من أجل تحقيق هذه الغاية. فمن الناس من استجاب، ومنهم أعرض، ومن استجاب ضحى بكل شيء في سبيل مرضاة ربه ومن أعرض فعل بمن استجاب الأفاعيل، وعاث في الأرض فسادا، وظلم العباد، وخرب ودمر، وفسق وفجر، وزرع في الناس أنواع الكفر والفسوق والضلال.

الحشر: وهو سوق الناس إلى مكان الحساب الذي يجتمع فيه الخلائق، وفيه يحاسبون وتوزن أعمالهم، ويعرف كل مصيره. قال تعالى: {واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون}. وقال تعالى: {وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا} وقال تعالى: {ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى} وقال تعالى: {ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا مهتدين}. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: "يأيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين} ألا وإن أول الخلق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام. إلا إنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوه بعدك فأقول: كما قال العبد الصالح: {وكننت عليهم شهيدا ما دمت فيهم} إلى قوله: {العزیز الحكيم} قال: فيقال لي: إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول: سحقا، سحقا". وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنف مشاة، وصنف ركبان، وصنف على وجوههم". قيل: يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم؟ قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك).

الحساب: وهو توقيف الله سبحانه وتعالى عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم أقوالا وأفعالا واعتقادات تفصيلا بعد أخذهم كتبهم. وكيفيته أمر غيبي لم يرد ما يدل عليه. والناس فيه متفاوتون (فمنهم) من يحاسب حسابا يسيرا بأن يعرض عمله عليه فيطلع الله على سيئاته سرا بحيث لا يطلع عليها أحد، ثم يعفو عنه ويأمر به إلى الجنة. (ومنهم) من يناقش الحساب. بأن يسأل عن كل جزئية، ويطلب بالعدل والحجة، فلا يجد عذرا ولا حجة فيهلك مع الهالكين ويفتضح بين الخلائق. قال تعالى: {فأما من أوتي كتابه بيمينه. فسوف يحاسب حسابا يسيرا. وينقلب إلى أهله مسرورا. وأما من أوتي كتابه وراء ظهره. فسوف يدعو ثبورا. ويصلى سعيرا}. وقال تعالى {وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين} وقال تعالى: {إن إلينا إيابهم. ثم إن علينا حسابهم}. وقال تعالى: {والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب}.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ (من نوقش الحساب عذب فقلت: أليس يقول الله {فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا، وينقلب إلى أهله مسرورا} فقلت: إنما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك). وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟).

صحائف الأعمال: وهي الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا من اعتقادات وأقوال وأفعال وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع فمنكرها كافر. وقد سبقت الأدلة العديدة على ذلك في الحساب وغيره. وهذه الصحف لا يأخذها الأنبياء والملائكة ومن يدخلون الجنة بغير حساب لأنهم لا يحاسبون.

الميزان: هو ذو كفتين ولسان توزن فيه أعمال من يحاسب بقدرة الله تعالى دفعة واحدة. والصنح مثاقيل الذر والخردل تحقيرا لإظهار تمام العدل. وقيل إن حقيقته لا يعلمها إلا الله تعالى. {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين} وقال تعالى: {فأما من ثقلت موازينه. فهو في عيشة راضية. وأما من خفت موازينه. فأمه هاوية. وما أدراك ما هي. نار حامية}. وعن الحسن عن عائشة رضي الله عنهما أنها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكيك. فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: (أما في ثلاثة مواطن

فلا يذكر أحد أحدا. عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل؟ وعند الكتاب حين يقال: {هاؤم اقرءوا كتابيه} حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حتى يجوز).
الصراط: وهو جسر ممدود على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرين كل بحسب عمله، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح العاصف، وناس كالجواد، وناس هرولة، وناس حبوا، وناس زحفا، وناس يتساقطون في النار، وعلى جوانبه كالليب، لا يعلم عددها إلا الله تخطف بعض الخلائق (الكلايب مثل الخطاطيف). قال تعالى: {وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا. ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا}. وعن ابن مسعود: الصراط على جهنم مثل حد السيف. فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: "اللهم سلم سلم".

الحوض: يجب الإيمان بأن لكل رسول حوضا يرده الطائعون من أمته، وأن حوض النبي ﷺ أكبرها وأعظمها. طوله مسيرة شهر، مربع الشكل له ميزابان يصبان فيه من الكوثر. مأؤه أشد بياضا م اللبن، وأحلى من العسل، كيزانه أكثر من نجوم السماء، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا. ولو دخل النار يعذب بغير العطش. ويكون شربه منه أو من غيره كالتنسيم بعد ذلك لمجرد اللذة يرده الأخيار وهم المؤمنون بالنبي ﷺ الآخذون بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ويطرد عنه الكفار والمبتدعة في العقيدة وكل من تعامل بالربا أو جار في الأحكام أو أعان ظالما أو جاوز حدا من حدود الله. وهو ثابت بأحاديث مشهورة تفيد التواتر المعنوي. منها حديث ابن عمرو أن النبي ﷺ قال: (حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، ومأؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منه فلا يظمأ أبدا).

الشفاعة: وهي لغة الوسيلة والطلب. وعرفا سؤال الخير للغير، وهي تكون من الأنبياء والعلماء العاملين والشهداء والصالحين. فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء". والنبي محمد ﷺ أول من يفتح باب الشفاعة حين يشفع في فصل القضاء. وهي الشفاعة العظمى المختصة به، والتي يغبطه عليها الأولون والآخرين وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى: {عسى أن يبيعتك ربك مقاما محمودا}. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ عن المقام المحمود في الآية فقال: "هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي". وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع). والشفاعة خمسة أنواع:

- 1 - الشفاعة في فصل القضاء لإراحة الخلق جميعا مسلمهم وكافرهم من طول الموقف وأهواله. وهي مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم. وتسمى الشفاعة العظمى .
- 2 - الشفاعة في إدخال فريق الجنة بغير حساب وهي مختصة به ﷺ .
- 3 - الشفاعة في زيادة الدرجات .
- 4 - الشفاعة في مرتكب الكبيرة المستحق دخول النار قبل أن يدخلها.
- 5 - الشفاعة في إخراج مرتكب الكبيرة من النار.

وهذان النوعان أنكرهما المعتزلة والخوارج وكل من قال: إن مرتكب الكبيرة مخلص في النار وأثبتها الأشاعرة والماتريدية وأهل السنة لوجود الأدلة في ذلك وقد مر بعضها وهناك شفاعات أخرى داخلية تحت ما ذكر.

النار: وهي دار العذاب والعقاب أعدها الله للكافرين والعصاة وثبتت بالكتاب والسنة وإجماع الأئمة لها سبعة أبواب لكل باب جزء مقسوم. والعذاب فيها مختلف الأنواع والأقسام وهي موجودة الآن باقية لا تفنى والكفار فيها مخلصون. قال تعالى: {لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها}. وقال تعالى: {فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين}. وقال تعالى: {إن أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهال يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعها}. وقال تعالى: {فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود. ولهم مقامع من حديد. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق}. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ناركم هذه التي توقدون فيها جزء من سبعين جزءا من حر جهنم. قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال: فإنها فضلت بتسعة وستين جزءا كلهم مثل حرها). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

(تخرج عنق من النار يوم القيامة، لها عيان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن يكون طعامه؟). ولا يخلد في النار من مات على التوحيد ولو ارتكب الكبائر، أما من مات على الشرك والكفر فإنه لا يخرج منها أبدا. قال تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}. وقال تعالى: {إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية}. فأهل الكبائر: من مات منهم قبل التوبة يدخله الله النار ليصلى جزاء ما فعل ثم تكون نهايته ومأواه الجنة إلا أن يغفر الله له فيدخله الجنة بدون سابق عذاب.

الجنة: وهي لغة البستان. والمراد هنا دار الثواب والنعيم المقيم التي أعدها الله للمؤمنين. فيها الحور العين والولدان المخلدون ولحم طير مما يشتهون وأنهار من الماء العذب والعسل المصفى واللبن الذي لم يتغير طعمه، والخمر التي فيها لذة للشاربين وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أهلها إخوان على سرر متقابلين نزع الله ما في قلوبهم من غل فصاروا أحبة متمتعين تحيتهم فيها سلام ونعيمهم دائم في دار السلام. **والجنة** ثمانية أبواب وهي أنواع وأقسام ودرجات أعلاها جنة الفردوس وأقل الناس في الجنة له من النعيم ما يعدل الدنيا وسبعة أمثالها معها لا يلقي أهلها موتا ولا يقربهم فناء وهي موجودة الآن في مكان يعلمه الله وحده كما يعلم وحده مكان النار. دل على ذلك كله الكتاب والسنة وإجماع الأئمة. قال تعالى:

{وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين} وقال تعالى: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا. خالدون فيها لا يبعثون عنها حولا}. وقال تعالى: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية. جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبدا، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربه}. وقال تعالى: {إن المتقين في جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر}. وقال تعالى: {مثل الجنة التي وعد المتقون، فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات، ومغفرة من ربهم، كمن هو خالد في النار، وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على بال بشر). قال أبو هريرة أقرأوا إن شئتم {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين}. وعنه قال: (قلت يا رسول الله: الجنة ما بناؤها؟ قال: "الجنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر، وحصابؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من دخلها ينعم ولا يبؤس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم). وعنه أن النبي ﷺ قال: (إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة أزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء).

رؤية الله تعالى: إعلم أن أهل أجمعوا على أن رؤية الله تعالى ممكنة عقلا واجبة نقلا، واقعة فعلا في الآخرة للمؤمنين دون الكافرين، بلا كيف ولا انحصار. فيرى سبحانه وتعالى بلا حدود ولا مشابهة ولا كيفية من مقابلة أو اتصال شعاع، أو ثبوت مسافة بين الرائي وبين الله تعالى، فإن الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه، لا يشترط فيها الأشعة، ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك، فلا يلزم من رؤيته تعالى تحديد له، بل يراه المؤمنون رؤية تليق به كما يعلمونه كذلك، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الأمة على ذلك. قال تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة}. وقال تعالى: {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون}. وقال جرير بن عبد الله: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا). ثم قرأ: {وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب}. وعن صهيب أن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ ألم تنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم، ثم تلا: {الذين أحسنوا الحسنى وزيادة}. وأما رؤيته تعالى في الدنيا فهي ممكنة: ولذلك طلبها سيدنا موسى عليه السلام فعلق الله حصولها له على استقرار الجبل حين يتجلى الله تعالى له ولم يستقر الجبل حينئذ، ولم تحصل له عليه السلام مع إمكانها كما أشير إلى ذلك بقوله تعالى: {قال رب أرني أنظر إليك، قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا}. وأما رؤية النبي ﷺ ربه

ليلة الإسراء يقظة بجسمه وروحه بعد السماء السابعة فالجمهور على أنها وقعت، وعلى ذلك الرأي بعض الصحابة ومنهم ابن عباس وأنس والحسن وغيرهم. وقال قوم: لم تقع له ﷺ في الدنيا، ومنهم بعض الصحابة والسيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، والخلاف في ذلك معروف ولكل أدلته.

القضاء والقدر

القضاء لغة: مصدر الفعل قضى يقضي قضاءً. قال ابن فارس رحمه الله في مادة قضى: (القاف، والضاد، والحاء المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذه لجهته. قال الله تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} أي أحكم خلقهن. والقضاء: هو الحكم، والصنع، والحثم، والبيان. وأصله القطع، والفصل، وقضاء الشيء، وإحكامه، وإمضاؤه، والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق.

إطلاقات القضاء في القرآن الكريم: يطلق لفظ القضاء في القرآن إطلاقات عديدة منها:

أ- الوصية والأمر: قال الله تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَٰهًا} أي أمر وأوصى.

ب - الإخبار: قال تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ} .

ج - الفراغ: {فَإِذَا قُضِيَّتُمْ مَنَاسِكُكُمْ} . وقال: {فَإِذَا قُضِيَّتُمْ الصَّلَاةُ} .

د - الفعل: قال تعالى: {فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ} .

هـ - الوجوب والحثم: قال تعالى: {وَقُضِيَ الْأَمْرُ} وقال تعالى: {قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} .

و- الكتابة: قال تعالى: {وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا} .

ز- الإتمام: قال تعالى: {فَلَمَّا قُضِيَ مُوسَىٰ الْأَجَلَ} . وقال تعالى: {أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ قُضِيَ} .

ح - الفصل: قال تعالى: {وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ} .

ط - الخلق: قال تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ} .

ي - القتل: قال تعالى: {فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ} .

القدر لغة: مصدر الفعل قَدَرَ يَقْدِرُ قَدْرًا، وقد تسكن دأله . قال ابن فارس رحمه الله في مادة قدر: قدر: القاف، والذال، والراء، أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه، ونهايته فالقدر مبلغ كل شيء، يقال: قَدَرَهُ كَذَا أي مبلغه، وكذلك القدر، وقَدَرَتِ الشيء أَقْدَرَهُ وأَقْدَرَهُ من التقدير. والقدر محركة: القضاء والحكم وهو ما يَقْدَرُهُ الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور. والتقدير التروية والتفكير في التسوية أمر والقدر كالقدر وجميعها جمعها أقدار. والفرق بين القدر والتقدير كما يقول أبو هلال العسكري أن التقدير يُستعمل في أفعال العباد ولا يُستعمل القدر إلا في أفعال الله عز وجل .

إطلاقات القدر في القرآن الكريم: يطلق القدر في القرآن عدة إطلاقات منها:

أ- التضييق: قال تعالى: {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ} .

ب - التعظيم: قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} .

ج - الاستطاعة، والتغلب والتمكن: قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ} .

د - التدبير: قال تعالى: {فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ} أي دَبَرْنَا الأمور، أو أَرَدْنَا وقوعها بحسب تدبيرنا.

هـ - تحديد المقدار أو الزمان أو المكان قال تعالى: {وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ} وقال {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ} .

و - الإرادة: قال تعالى: {فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ} أي دَبِرَ، وأريد وقوعه.

ز - القضاء والإحكام: قال تعالى: {نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ} أي قضينا، وحكمنا.

ح - التمهّل والتروي في الإنجاز: قال تعالى: {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ} أي تمهّل وتروّى ليتبين ما يقوله في القرآن. وقال: {وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ} أي تمهّل، وتروّى في السرد كي تحكمه.

ط - الصنع بمقادير معينة: قال تعالى: {قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا} .

العلاقة بين القضاء والقدر: تتبين العلاقة بينهما، من المدلول اللغوي والشرعي كالاتي .

فكلٌّ من القضاء والقدر يأتي بمعنى الآخر فمعاني القضاء تؤول إلى إحكام الشيء وإتقانه ونحو ذلك من معاني القضاء. ومعاني القدر تدور حول ذلك، وتعود إلى التقدير، والحكم، والخلق، والحثم، ونحو ذلك.

القضاء والقدر في الاصطلاح الشرعي: هناك بعض ممن تطرق لتعريف القضاء والقدر ببعض أفرادهم أو بعمومه دون تفصيل أو إشارة إلى مراتبه وأركانها. فالجرجاني رحمه الله يعرف القدر فيقول: (القدر: خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء. والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال).

وقال رحمه الله في تعريف القضاء: "القضاء لغة: الحكم. وفي الاصطلاح: (عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد).

ويمكن أن يعرف القضاء والقدر بأحد التعريفات التالية:

هو ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه عز وجل قدر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تقع في الأزل و علم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها". وعُرف بأنه: تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته. أو هو تقدير الله تعالى للأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيتته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها. أو هو علم الله بالأشياء، وكتابته، ومشيتته، وخلقه لها.

الفروق بين القضاء والقدر: اختلف العلماء في ذلك على أقوال، وفيما يلي ذكر لشيء من ذلك:

1_ قيل: المراد بالقدر: التقدير وبالقضاء: الخلق كقوله تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ} أي خلقهن. فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه". وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: "والقضاء من الله أخص من القدر لأنه الفصل بين التقدير فالقدر هو التقدير والقضاء هو الفصل والقطع.

وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المَعْدِّ للكيل والقضاء بمنزلة الكيل".

2_ وقيل العكس فالقضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل والقدر هو وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق. قال الجرجاني رحمه الله: "والفرق بين القدر والقضاء هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها". وقال مثل ذلك عند تعريفه للقضاء والقدر كما مر .

3_ أنه لا فرق بين القضاء والقدر فكل واحد منهما بمعنى الآخر فإذا أطلق التعريف على أحدهما شمل الآخر ويعبر عن كل واحد منهما كما يعبر عن الآخر فهما مترادفان من هذا الاعتبار فيقال: هذا قدر الله، ويقال: هذا قضاء الله، ويقال: هذا قضاء الله وقدره. ولعل الأقرب أنهما إذا اجتمعا افترقا بحيث يصبح لكل واحد منهما مدلول بحسب ما سبق في الأقوال السابقة. وإذا افترقا اجتمعا بحيث إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر. وبالجمله فالأمر يسير، والخلاف فيها لا يترتب عليه شيء.

موانع إنفاذ الوعيد: إن الذنوب موجبة لدخول النار وصاحبها متوعد بالعذاب إلا أن هناك أسباباً تندفع بها العقوبة وينتفي بسببها الوعيد ويزول موجب الذنوب تسمى موانع إنفاذ الوعيد وهي عشرة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب: أحدها: التوبة، وهذا متفق عليه بين المسلمين والمؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع عنه بعشرة أسباب على النحو التالي :

1- أن يتوب فيتوب الله عليه فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. 2- أو يستغفر، فيغفر الله له.

3- أو يعمل حسناتٍ تمحوها فإن الحسنات يذهبن السيئات. 4- أو يدعو له إخوانه المؤمنون، ويستغفرون له حياً وميتاً.

5- أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به. 6- أو يشفع فيه نبيه محمدٌ .

7- أو يبتليه الله تعالى في الدنيا بمصائب تكفر عنه. 8- أو يبتليه في البرزخ بالصعقة، فيكفر بها عنه.

9- أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه. 10- أو يرحمه أرحم الراحمين.

فمن أخطأته هذه العشرة فلا يلومن إلا نفسه، كما قال تعالى فيما يرويه عنه رسول الله (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم أياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) .

وقد ضل في القدر طائفتان :

الطائفة الأولى: القدرية: والقدرية هم الذين يقولون بنفي القدر عن أفعال العبد وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلتين عن إرادة الله جل في علاه وقدرته ولذلك سموا بمجوس هذه الأمة فقد جعلوا من أنفسهم شركاء مع الله جل في علاه في الخلق وأول من

أظهر القول به معبد الجهني في أواخر عصر الصحابة فقد تلقاه عن رجل مجوسي في البصرة وما من مبتدع يبتدع بدعة إلا ويكون قد أخذها عن أهل الكفر والضلال والعياذ بالله.

والقدريّة فرقتان: غلاة وغير غلاة **فأما الغلاة:** فهم ينكرون علم الله وهذه علامة لا بد أن تعرفها في غلاة القدريّة وهي أنهم ينكرون العلم وإن أنكروا فقد كفروا لأنهم عند ذلك قد أنكروا صفة معلومة من الدين بالضرورة فالغلاة ينكرون علم الله وإرادته وقدرته وخلقته لأفعال العبد وهؤلاء قد انقضوا أو كادوا فلم يبق منهم إلا القليل **وغير الغلاة** يؤمنون بأن الله يعلم كل شيء لكنهم ينكرون وقوع هذه الأفعال بإرادة الله وقدرته وخلقته وهذا المذهب ظاهر لمخالفة لكتاب الله عز وجل فقد قال الله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}.

وهؤلاء ضلوا بالتفريط وإنكار القدر وزعموا أنه لا يمكن الجمع بين ما هو ثابت بالضرورة من اختيار العبد في فعله ومسؤوليته عنه وبين ما دلت عليه النصوص من عموم خلقه تعالى ومشيتته لأن ذلك العموم في زعمهم إبطال لمسؤولية العبد عن فعله، وهدم للتكاليف فرجوا جانب الأمر والنهي وخصصوا النصوص الدالة على عموم الخلق والمشيتة بما عدا أفعال العباد وأثبتوا أن العبد خالق لفعله بقدرته وإرادته فأثبتوا خالقين غير الله ولهذا سموا مجوس هذه الأمة لأن المجوس يزعمون أن الشيطان يخلق الشر والأشياء المؤذية فجعلوه خالقا مع الله، فكذلك هؤلاء جعلوا العباد خالقين مع الله.

والطائفة الثانية: يقال لها: الجبرية وهؤلاء غلوا في إثبات القدر حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة بل هو في زعمهم لا حرية له ولا اختيار ولا فعل كالريشة في مهب الرياح وإنما تسند الأفعال إليه مجازا فيقال: صلى وصام وقتل وسرق كما يقال: طلعت الشمس وجرت الرياح ونزل المطر فاتهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم واتهموه بالعبث في تكليف العباد وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي ألا ساء ما يحكمون¹.

الجن والشيطان

عرّف رشيد رضا هذين اللفظين في اللغة فقال: الجن والجان والجنة بالكسر مأخوذة من مادة جنن وهذه المادة تدل على الستر والخفاء والشياطين في اللغة كل عاتٍ متمرد حتى من الدواب والشايطن: الخبيث وقيل: إن الشيطان مشتق من شاط يشيط أي احترق غضباً . وقد عرف تعريفاً شرعياً بأن الجن خلق خفي مستتر من عالم الغيب أثبتتهم جميع الأديان . **والإيمان بوجود الجن** من الإيمان بالغيب الذي أمر الله تعالى بالإيمان به قال تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ} وقال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} فإنكار الجن مخالف للشرع بل لجميع أهل الملل الذين أجمعوا على وجودهم. وهو مخالف أيضاً للعقل الذي يقضي بأن إنكار الشيء لمجرد عدم رؤيته أو الإحساس به غير سديد. وهذا ما يقرره الشيخ رشيد بقوله: إنكار شيء ونفيه لعدم الإحساس به مما يمنعه العقل ولو أنكرنا كل ما لم نطلع عليه وندركه بالحواس لما توجهت نفوسنا إلى اكتشاف هذه المجهولات الكثيرة. أما العقل فإنه يدلنا مع الاختبار بأن في الكون موجودات كثيرة لا نعرفها لأنها لا تدرك بحواسنا هذه ولو خلق لنا حواس غيرها لأدركنا ما لا ندركه الآن . ويقرر رشيد رضا أن **الإيمان بوجود الجن واجب** وثابت بخبر الشرع فيقول عن الجن إنه: "عالم خفي أو غيبي أخبرنا بوجوده الأنبياء المؤيدون من خالق الكون بالوحي والإلهام فوجب التصديق بذلك . فوجود الجن قطعي لثبوته بهذه الأدلة.

رؤية الجن: اختلف في جواز رؤية الجن فذهب بعض أهل العلم إلى أن أحداً لا يراهم في الدنيا واستدلوا بقوله تعالى: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ} والصواب في معنى هذه الآية هو ما قاله ابن تيمية لما سئل عنها: (الذي في القرآن أنهم يرون الإنس من حيث لا يراهم الإنس وهذا حق يقتضي أنهم يرون الإنس في حال لا يراهم الإنس فيها وليس فيه أنهم لا يراهم أحد من الإنس بحال بل قد يراهم الصالحون وغير الصالحين أيضاً لكن لا يرونهم في كل حال) . وهذا هو الصواب فليس في الآية ما يدل على عدم رؤيتهم أبداً، وغاية ما فيها أنه يراها من حيث لا نراه وليس فيها أنا لا نراه أبداً فإن انتفاء الرؤية منا له في وقت رؤيته لنا لا يستلزم انتفاءها مطلقاً . وأما السنة فقد ثبت أن النبي ﷺ رآهم وخاطبهم وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وإن كان ابن عباس يجزم بعدم رؤيتهم إلا أن ابن مسعود مثبت فهو مقدم وابن عباس رضي الله عنه لم يعلم ما علمه ابن مسعود.

¹ تبسيط العقائد الإسلامية ، لحسن محمد أيوب ، الناشر: دار الندوة الجديدة، بيروت - لبنان ، الطبعة: الخامسة، 1403 هـ - 1983 م ، ص / الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، لسليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين ، المحقق: سالم بن محمد القرني ، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض الطبعة: الأولى، 1419 هـ ، ص / الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة ، لعبد الله بن عبد الحميد الأثري الناشر: مدار الوطن للنشر، الرياض ، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م ، ص

وقد نقل عن الإمام الشافعي تشديد عظيم على من يدعي رؤيتهم وقد اختلف النقل عن الصحابة في رؤية النبي ﷺ لهم فروي عن ابن مسعود أنه رآهم وروى عن ابن عباس أنه لم يرههم وأنه لو رآهم لما قال تعالى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ} وقال بعض العلماء: إن ابن عباس قال بما يدل عليه القرآن وابن مسعود قال بما ثبت عنده ولا منافاة. وادعى بعضهم أن رؤيتهم تكون كرامة للأولياء. ولكن لم يقل أحد من المسلمين ولا من غيرهم أن الجن يظهرون ويسألون العلماء على مرأى من الناس ومسمع.

دخول الجن في جسم الإنسان: وردت إشارة واحدة في القرآن الكريم تشير إلى تأثير الجن في الإنسان، هي قوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبَطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} أي لا يقومون إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له. ووردت في السنة عدة أحاديث تثبت صرع الجن للإنس وغلبتهم على عقله وورد فيها معالجته ﷺ للمصروعين منها:

حديث مطر بن عبد الرحمن الأعنق عن أم أبان بنت الوازع عن أبيها (أن جدها الوازع انطلق إلى رسول الله ﷺ فانطلق معه بابن له مجنون أو ابن أخت له قال جدي: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ المدينة قلت يا رسول الله إن معي ابن لي أو ابن أخت لي مجنون أتيتك به فتدعوا الله عزوجل له قال له: انتني به. فانطلقت إليه وهو في الركاب فأطلقت عنه وألقيت عليه ثياب السفر وألبسته ثوبين حسنين وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله ﷺ فقال: ادنه مني واجعل ظهره مما يليني قال: فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض أبطيه ويقول: أخرج عدو الله أخرج عدو الله فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس نظره الأول ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه فدعا له فمسح وجهه فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه). وحديث ابن عباس (أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن به لمماً وإنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له فثع ثعة فخرج من فيه مثل الجرو الأسود فشفي). في هذه الأحاديث دلالة على دخول الجن في جسم الإنسي وصرعه له. وعلى هذا كان السلف. فقد قال عبد الله بن أحمد لأبيه: (إن قوماً يزعمون أن الجن لا يدخل في بدن الإنسي فقال: يا بني يكذبون هو ذا يتكلم على لسانه) وقال ابن تيمية: (وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع وغيره ومن أنكر وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك)².

قول الخوارج والمعتزلة أن فاعل الكبيرة مخلد في النار وأدلتهم: استدلل الخوارج والمعتزلة بأدلة تثبت أن فاعل الكبيرة من أهل النار وخالد مخلد فيها وهي ما يلي:

أولاً: الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: (من غشنا فليس منا).

ثانياً: قال النبي ﷺ: (من حمل عينا السلاح فليس منا) وهذان الحديثان فيهما براءة المرء من دينه.

ثالثاً: قول النبي ﷺ: (برئت الذمة ممن جلس بين أظهر المشركين).

رابعاً: قال النبي ﷺ: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) والفسوق والكفر سواء فإن الله تعالى قال: {وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} فهذه الآية تدل على أن الفسق من الظلم. وقوله تعالى: {وَكُذِّبَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ} ففرن الكفر مع الفسوق وإن كان الفسوق أخف درجة منه.

خامساً: قول النبي ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يستشرف لها الناس وهو مؤمن) فهذا الحديث فيه دلالة على أن من عمل هذه الأعمال فإنه كافر لانتفاء الإيمان عنه.

سادساً: قول النبي ﷺ: (اثنتان في أمتي هما بهم كفر) وذكر منها النياحة على الميت، فهذا الحديث فيه دلالة قوية على أن هذه المعاصي كفرية وهذا بالاتفاق عند الخوارج والمعتزلة.

الفرق بين الخوارج والمعتزلة في حكم فاعل الكبيرة

فالخوارج والمعتزلة اتفقا في المجمل واختلفا في التعريف فأما الخوارج فقالوا: من اغتاب شخصاً فهو كافر ومن نهب نهبة فهو كافر ومن شرب الخمر مرة فهو كافري يعني أنه كافر في أحكام الدنيا فلا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين

² - منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة/تامر محمد محمود متولي/الناشر: دار ماجد عسيري/الطبعة: الأولى 1425هـ-2004م، ص

أما في أحكام الآخرة فهو خالد مخلد في نار جهنم. وأما المعتزلة فقالوا: ليس بكافر بل هو بمنزلة بين المنزلتين لا هو مؤمن ولا هو كافر أما في يوم القيامة فيكون خالدًا مخلدًا في نار جهنم فاتفقوا بهذا مع الخوارج.

عقيدة أهل السنة فيمن ارتكب كبيرة وردهم على أدلة الخوارج والمعتزلة

وأهل العقيدة السديدة يعتقدون بأنه لا يمكن أن يكفر أحد من المسلمين قال: لا إله إلا الله مهما فعل من الذنوب ولا يكفره إلا جاهل جريء. أما الرد على أدلة الخوارج والمعتزلة فهو كما يلي:

أولاً: قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} فكل ما كان دون الشرك فهو تحت مشيئة الله والكافر لا يدخل تحت المشيئة لأن الكافر ماله إلى النار خالدًا مخلدًا فيها. وهناك قاعدة وهي: كل كفر ذكر نكرة في حديث أو في آية يحمل على الكفر الأصغر وكل شرك ذكر منكرًا في حديث أو آية فلا بد أن يحمل على الشرك الأصغر إلا ما كان معرفاً.

ثانياً: قال النبي ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) فالتفريق الشرعي والتأصيل العلمي الذي أصله الله لنا في التفريق بين درجة الإسلام ودرجة الإيمان من قول الله تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} فيحتمل معنى قول النبي ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) أنه ليس بمؤمن لكنه مسلم لم يخرج من دائرة الإسلام والدليل على ذلك حديث سعد بن أبي وقاص عندما قال للنبي ﷺ: (لم تعط فلاناً؟ والله ما أراه إلا مؤمناً قال: أو مسلم) ففرق بين المؤمن وبين المسلم.

ثالثاً: حديث أبي ذر قال فيه: (يا رسول الله! وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق) يعني: أنه من أهل الجنة فإذا قلنا باستدلالهم بحديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) فيكون ماله إلى النار خالدًا مخلدًا فيها. ويرد عليهم بأن رسول الله بشر من قبل جبريل، وجبريل بشر من قبل الله جل في علاه علام الغيوب بأن الزاني والسارق إن ماتا على ذلك فهما في مشيئة الله جل في علاه ومآلهما إلى الجنة.

رابعاً: حديث عبادة رضي الله عنه قال: (بايعنا النبي ﷺ على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نزني، ولا نسرق، ثم قال النبي ﷺ: فمن أتى من هذه القاذورات شيئاً فأقيم عليه الحد فهو كفارة له، وإن لم يقم عليه الحد فهو تحت مشيئة الله) فجعله في المشيئة دليل على أنه من أهل الإيمان.

خامساً: قوله ﷺ: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) أن الكفر ذكر نكرة فيدل على أنه كفر دون الكفر الأكبر. ومنه قول الله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَاتِنَا الَّذِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَقِيَّ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ}. وقول النبي ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) ووجه الدلالة: أن الكفر المذكور في هذا الحديث ليس هو الكفر الذي يخرج من الملة لأن الله تعالى لم ينف الإيمان عن الطائفتين المتقاتلتين بل سماهما به وشهد لهما بالإيمان مع أنهما تقتتلان ويوجد في إحداهما بغى وظلم. وفي حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما قال عليه الصلاة والسلام: (إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين طائفتين من المسلمين) وعلي ومعاوية وهما من الإيمان والإسلام بمكان، ولا يمكن أن يسمى مسلماً من انخلع عن دائرة الإسلام. وكذلك قول الله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأَنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٍ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ} وجه الدلالة من هذه الآية هو قوله تعالى: (من أخيه) فإن الله تعالى أثبت لهم الأخوة في الدين ولا يمكن أن تكون أخوة بين مؤمن وكافر بحال من الأحوال إلا إذا كانت أخوة النسب أما أخوة الإنسانية فلا تجوز بحال من الأحوال أن تكون بين المؤمن والكافر فهي ملغية لأن الله جل في علاه قال عن الكفار: {إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ}.

سادساً: قول النبي ﷺ: (من غشنا فليس منا) وقوله: (برئت الذمة ممن جلس بين أظهر المشركين) فالمعتزلة والخوارج يقولون: إن الذي يغش في البيع فهو كافر لكنه عند أهل السنة والجماعة مسلم عاص أو مؤمن ناقص الإيمان فهو مؤمن بتوحيده عاص أو فاسق بمعصيته. أما قوله ﷺ: (برئت الذمة ممن جلس بين أظهر المسلمين) فالبراءة براءتان: براءة من الشخص وبراءة من العمل والبراءة من العمل لا تخرج صاحبها من الملة أما البراءة من الشخص فكقول الله تعالى: {إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ} فهنا البراءة منهم لأنهم أشركوا بالله وبين الله أن إبراهيم قد تبرأ أيضاً من أبيه عندما رأى أنه عدو لله جل في علاه فهنا براءة من الشخص نفسه لكفره. وقول النبي ﷺ: (من غشنا ليس منا) يعني ليس على هدينا وذلك أن النبي ﷺ دخل السوق فرأى صبرة طعام فأدخل يده فيها فوجد بللاً فقال: (ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول

الله! قال: هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا) وهذا دليل واضح جداً على أن هذا العمل ليس بكفر ووجه الدلالة أنه لو كان كفراً لقال له ﷺ: قد كفرت فقل: لا إله إلا الله وارجع إلى دينك واغتسل كما أمر بعض الكفار الذين أسلموا أو لقال له هذه ردة يا صاحب الطعام وقد تخلد في نار جهنم بهذه الردة. فمعنى قوله ﷺ: (ليس منا): ليس على هدينا، وليس على ما يرضي الله ويرضي رسوله ﷺ.

سابعاً: قول النبي ﷺ: (اثنتان في أمتي هما بهم كفر: النياحة على الميت، والاستسقاء بالنجوم) فالنياحة على الميت ليست بكفر فالمرأة التي تلطم الخدود وتشق الجيوب ليست كافرة وهذا كفر دون كفر³.

عقيدة الولاء والبراء

من مقتضيات عقيدة التوحيد عقد الولاء بين المؤمنين والبراء من الكفار والمشركين إذ لا يتم الولاء للمؤمنين إلا بالبراءة من المشركين فهما متلازمان.

الولاء والبراء في النصوص الشرعية: لقد قرر الله تعالى مبدأ الولاية بين المؤمنين وجعل بعضهم أولياء بعض يتناصرون ويتعاضدون ويتحابون فقال سبحانه: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} . وذلك لأن طبيعة المؤمن هي طبيعة الأمة المؤمنة وتجمع المسلمين شيء طبيعي في مواجهة التجمع الذي يقوم على أساس معارضة الإسلام ومحاربة المسلمين.

ولنا بعض نصوص القرآن والسنة بوضوحها ونصاعتها تبين حقيقة الولا والبراء وتجعلها أوضح من الشمس في رابعة النهار ولذلك ينبغي الوقوف عندها والنظر في مدلولاتها ومراميها فمن الآيات القرآنية:

قال تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} . وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين* ويقول الذين آمنوا أھؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين} . وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَعْلَمْ مِنْكُمْ فَفَدَّ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ* إِنْ يَتَفَقَّحْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ} وما كانت صلة النسب والقربا مهما كانت قريبة سببا للمودة بين المؤمنين والكفار ولا سبيلا للولاء لهم وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} .

وقال تعالى {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} .

ولذلك تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه وقومه: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ*إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} . ومن ثم جعل الله تعالى فيه أسوة حسنة ينبغي أن نتأسى بها ولاء للمؤمنين وبراءة من الكافرين وبغضا لما يعبدون من دون الله: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ} . ولهذا المعنى نفسه قطع الله تعالى الصلة بين نوح عليه السلام وبين ابنه الكافر: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ*قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} . وكذلك قطع الصلة بين نوح وزوجته وبين لوط وزوجته .

وأما الأحاديث النبوية التي تقرر هذا المبدأ وما يقتضيه ويستلزمه فمنها:

قوله عليه الصلاة والسلام (أوثق عرا الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل). و **قوله عليه الصلاة والسلام** (من أحب في الله وأبغض في الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان). وقوله عليه الصلاة والسلام:

(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار).

مفهوم الولاء والبراء:

الولاء في اللغة: الواو واللام والياء، أصل صحيح يدل على القُرب وذلك أن الولاء والتوالي: أن يحصل شيئان فصاعدا حصولا ليس بينهما ما ليس منهما. ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة ومن حيث الولاية. **والموالاتة:** أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح ويكون له في أحدهما هوى فيؤاليه أو يحاييه. **والمؤلى والمؤلى:** يُستعملان في المعاني السابقة وكل منهما يقال في معنى الفاعل "أي: المؤالي" وفي معنى المفعول "أي: المؤالى". وكذلك يطلق كل منهما على معانٍ وهو في كل منها حقيقة فهو يطلق على المعتق والمعتق والمتصرف في الأمور والصاحب والحليف والناصر والمحبيب، والمطيع والتابع، والمالك والسيد.. فيضاف كل واحد إلى ما يقتضيه السياق الوارد فيه. **والولي:** ضد العدو وكل من يليك أو يقابلك فهو وليّ وكل من وليّ أمر آخر فهو وليّه. **والولاية:** النصرة وقد نفاها الله بين المؤمنين والكافرين في غير آية وجعل بين الكافرين والشياطين موالاتة في الدنيا ونفى بينهم الموالاتة في الآخرة. **والولاء:** الملك والقرب والقربة والنصرة والمحبة. ووالى فلانا: أحبه وتولاه: اتخذه وليا. فإذا عُدّي بنفسه اقتضى معنى الولاية وحصوله في أقرب المواضع. ومنه وليت وجهي كذا أقبلت به عليه. وإذا عُدّي بـ "عن" لفظا أو تقديرًا اقتضى معنى الإعراض وترك قربه.

مفهوم الولاء في الشرع: ومن تلك المعاني اللغوية للولاء وما يتصل بها ومن مراجعة النصوص القرآنية والحديثية وأقوال علماء السلف يمكن أن نخرج بمفهوم عام للولاء يقوم على النصرة والتحالف والحب والطاعة وإلقاء مقاليد الأمور لمن يكون له الولاء. فإذا كان ذلك للمؤمنين كان مودة لهم ونصرة لهم على أعدائهم ... وهي الموالاتة الشرعية التي أوجبها الله تعالى وجعلها رابطة بين المؤمنين حيث قال: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}. وإن كانت هذه الموالاتة للكافرين والمشركين والطواغيت فهي الخروج على الإسلام والمحادّة لله ولرسوله ينهى الله تعالى عنها ويحذر فيقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُورًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُوبَ مُّؤْمِنِينَ}. ونجد أن صدر سورة الممتحنة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ لِّيُفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) نزل في حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وفيه نهى الله تعالى عن موالاتة أعدائه وهو نهى عن مناصرة الكفار بإلقاء شيء من أسرار النبي ﷺ وإفشائه بحكم ما كان بين حاطب وبين القوم فأراد أن يتخذ عندهم يدا.

فقد كان حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه رجلا من المهاجرين، وكان من أهل بدر أيضا وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفا لعثمان رضي الله عنه فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد أمر النبي ﷺ بالتجهيز لغزوهم وقال: (اللهم عَمَّ عليهم خبرنا) فعمد حاطب فكتب كتابا وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يدا فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ استجابة لدعائه. فبعث في أثر المرأة من أخذ الكتاب منها وقال رسول الله ﷺ: "يا حاطب، ما هذا؟" قال: لا تعجل عليّ! إني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: "إنه صدقكم"، فقال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنق هذا المنافق! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه قد شهد بدرا وما يدرىك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ}.

البراء في اللغة: الباء والراء والهمزة: أصلان إليهما ترجع فروع الباب أحدهما: **الخلق** يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم برّاء. والبارئ: الله جل ثناؤه. **والأصل الآخر: التباعد عن الشيء** ومزايلتة. من ذلك: البرء وهو السلامة من السُّمِّ يقال: برئت وبرأت قال تعالى: {إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ} وفي غير موضع من القرآن الكريم: {إِنِّي بَرِيءٌ} والمصدر: البراء. وقال

الراغب الأصفهاني: "أصل البرء والبرء والتبري: التفصّي مما يكره مجاورته، ولذلك قيل: برأت من المرض وبرأت من فلان وتبرأت وأبرأت من كذا وبرأته ورجل بريء وقوم برآء وبريئون....". وقال ابن الأعرابي: البريء: المتفصي من القبائح، المتنحي عن الباطل والكذب البعيد من التهم النقي القلب من الشرك. وقال أيضا: يقال: برئ إذا تخلص وبرئ: إذا تنزه وتباعد وبرئ إذا أعذر وأنذر. ومنه قوله تعالى: {بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} إعدار وإنذار. وفي حديث أبي هريرة لما دعاه عمر إلى العمل فأبى فقال عمر: إن يوسف قد سأل العمل فقال: (إن يوسف مني بريء، وأنا منه برء) أي بريء عن مساوئته في الحكم وأن أفس به ولم يرد براءة الولاية والمحبة لأنه مأمور بالإيمان به والبراء والبريء سواء.

مفهوم البراء في الشرع: وهذه المعاني اللغوية كلها ملحوظة في المعنى الشرعي للبراء، الذي هو البعد عن الكفار ومودتهم والتخلص من قبائحهم وباطلهم والإنذار لهم ومقاطعتهم وبغضهم قليلا وبغض ما هم عليه من الكفر والقبائح. فمن يتبرأ من الكفار والمشركون إنما يتبرأ من القبيح والباطل والمكروه ويتعد عنه وبذلك يبرأ من تهمة الكفر التي تحصل بإلقاء المودة لهم وفي ذلك إنذار لهم وإعدار فما كانت البراءة والعداوة إلا بعد هذا الإنذار والإعدار.

مقتضيات البراءة من الكفار: وهذا البراء من الكفار، وما هم عليه يقتضي أن نتنبه إلى جملة أمور حتى تتم مجانية دين الكفار والبراءة منهم:

1- ترك اتباع أهوائهم ومتابعتهم في أي أمر من أمورهم فإن هذه المتابعة لهم إنما تكون بترك الشريعة أو بعضها وإنه لكفر بالشريعة أن نتركها متابعة لهوى المشركين والكفار بأي حجة وتحت أي عنوان وهم لا يرضون من المؤمن إلا أن يتبع ملتهم ودينهم وذلك ردة ينبغي الحذر منها ولهذا جاءت الآيات القرآنية تحذر أشد التحذير من هذا الاتباع: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ اتَّبَعْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} {وَلَئِنْ اتَّبَعْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ} .

2- النهي عن التلقي عن الكفار في الرأي والمشورة وطاعتهم فيما قد يشيرون به أو يأمرهم فإن الله تعالى نهى عن طاعة الكافرين فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}

فإن طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم واقتباس مناهجهم وأوضاعهم تحمل ابتداء معاني الهزيمة الداخلية والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة المسلمة كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صعودا في طريق النماء. وهذا بذاته دبيب الكفر في النفس وهي لا تشعر به ولا ترى خطره القريب.

هذا من جانب المسلمين فأما من الجانب الآخر فأهل الكتاب لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها. فهذه العقيدة هي سبيل النجاة وخط الدفاع ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة. والأعداء يعرفون هذا جيدا يعرفونه قديما وحديثا ويبدلون في سبيل تحويل هذه الأمة عن عقيدتها كل ما في وسعهم من مكر وحيلة ومن قوة كذلك وعدة. وحين يعجزهم أن يحاربوا هذه العقيدة ظاهرين يدسون لها مكرين وحين يعيهم أن يحاربوها بأنفسهم وحدهم يجندون من المنافقين المتظاهرين بالإسلام أو ممن ينتسبون زورا للإسلام جنودا مجندة لتتخر في جسم هذه العقيدة من الداخل ولتصد الناس عنها ولتزيّن لهم مناهج غير منهجها وأوضاعا غير أوضاعها وقيادة غير قيادتها.

فحين يجد أهل الكتاب من بعض المسلمين طواعية واستماعا واتباعا فهم ولا شك سيستخدمون هذا كله في سبيل الغاية التي تؤرّقهم وسيقودونهم ويقودون الجماعة كلها من ورائهم إلى الكفر والضلال. ومن ثم جاءت التحذيرات الحاسمة كهذه التحذيرات:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} .

{وَلَا تُطِيعُوا مَنْ أَغْلَقْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} .

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} .

3- ترك الركون إلى الكفرة والظالمين فقد نهى الله تعالى عن ذلك فقال: {وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ} . فإن الركون إلى الكفرة والظالمين والطواغيت والاطمئنان إليهم والاستناد إليهم

يعني إقرارهم على المنكر الأكبر الذي يزاولونه فيقهرون العباد ويعبدونهم لغير الله.. ويعني مشاركتهم في هذا المنكر الكبير. ولذلك استحق هذا الجزاء وهذا التخويف.

ولذلك كان من فضل الله تعالى على نبيه ﷺ وعلى المؤمنين من بعد أن ثبته على الحق والدعوة، لئلا يركن إلى الظالمين ومحاولاتهم في الإغراء والمساومة والمداينة {وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا، إِذَا لَادُّفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا}.

4- ترك مودة أعداء الله ومحبتهم ومفاصلتهم مفاصلة كاملة حتى ولو كانوا من أقرب الناس نسبا وقربة فلا يجتمع في قلب مؤمن إيمان بالله ومودة لأعدائه: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ}.

5- ترك التشبه بالكفار في أفعالهم الظاهرة فيما هو من خصائصهم لأنها تورث نوع مودة ومحبة وموالاتة في الباطن كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة حتى إن الرجلين إذا كانا في بلد واحد ثم اجتمعا في دار غربة كان بينهما من المودة والانتلاف أمر عظيم وإن كانا في بلدهما لم يكونا متعارفين وذلك لأن الاشتراك في نوع وصف اختصاص به عن بلد الغربة.. فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاتة فإن المشابهة في الأمور الدينية تفضي إلى نوع من الموالاتة أكثر وأشد.

ولذلك جاء التحذير الشديد من التشبه بالكفار لئلا يكون ذلك سببا للمودة القلبية لهم ولئلا يسقط الحاجز النفسي بين المؤمن وبين الكفار ولئلا تتمتع شخصية الأمة المسلمة المتميزة فتصبح تابعة لغيرها مقلدة لها والتقليد جسر للضعف والانحلال وسبب للسقوط والهلاك ومسح لمكانة المقلد فإنه لا يقلد إلا قرد أو ببغاء. وهذا التحذير من التشبه بالكفار ومتابعة سبيلهم وطريقهم تشير إليه أحاديث نبوية كثيرة كقوله عليه الصلاة والسلام: (لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا شَبْرًا وَذُرَاعًا بِذُرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ. قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟"). وقوله عليه الصلاة والسلام (من تشبه بقوم فهو منهم). وقوله عليه الصلاة والسلام (ليس منا من تشبه بغيرنا).

الفرق بين التسامح والبر وبين المودة للكفار:

إن الإسلام أعطى أهل الذمة في الدولة الإسلامية حقوقهم كاملة ولم يُكرههم على اعتناق الإسلام وأمر ببرهم من الناحية المادية والمعاملة والتسامح معهم ووصلهم بقسط من أموالنا على وجه البر والصلة حتى ولو كانوا مخالفين لنا في الدين من جميع أصناف الملل والأديان كما قال الله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}. إلا أن هناك فرقا بين هذا التسامح والبر والإحسان وبين إلقاء المودة إليهم واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين ولا يجوز أن يلتبس أحدهما بالآخر.

وسر الفرق في ذلك: (أن عقد الذمة يوجب حقوقا علينا لهم لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ودين الإسلام فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله وذمة دين الإسلام.

حكى ابن حزم في (مراتب الإجماع) أن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم ونموت دون ذلك صونا لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ.. وإذا كان عقد الذمة بهذه المثابة تعين علينا أن نبرهم بكل أمر لا يدل ظاهره على مودات القلوب ولا تعظيم شعائر الكفر فمتى أدى إلى أحد هذين امتنع وصار من قبيل ما نهى عنه في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ}.

ويتضح ذلك بالمثل: فتمكينهم من الولايات والتصرف في الأمور الموجبة لظهور العلم والغلبة منهم وسلطان المطالبة والرئاسة والسيادة وعلو المنزلة. وذلك كله منهى عنه لما فيه من تعظيم شعائر الكفر وتحقير شعائر الله ودينه وأهله.

وأما ما أمر به الإسلام من برهم من غير مودة باطنية فالرفق بضعيفهم وسد خلة فقيرهم وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة بهم لا على سبيل الخوف والذلة والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم.

موقف الكفار من الإسلام والمسلمين: وهذا التسامح والبر من جانب الإسلام، يقابله من جانب اليهود والنصارى كل ما يمكن أن يفتق عنه العقل البشري من المكائد والمؤامرات وكل ما يمكن من الجحود والحرب التي لا تهدأ بكل أنواعها وألوانها ولذلك يجمل بنا هنا أن نعرض بإيجاز شديد لموقف أهل الكتاب من الإسلام والمسلمين ليطهر الموقف وتظهر ولاية الكفار بعضهم لبعض، مهما اختلفت مللهم وتباينت نحلهم وتعددت راياتهم فهم يناصبون الإسلام العداء ولن يهدأ لهم بال حتى يردوا المسلمين عن دينهم إن استطاعوا. ونستلهم ذلك من تقاريرات الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أولا ثم من الواقع التاريخي ثانيا. قال الله تعالى: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ}. {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}.

ويتفق موقف أهل الكتاب هذا مع موقف المشركين تجاه الإسلام والمسلمين قال الله تعالى: {وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا}. {وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ} .

والواقع التاريخي شاهد صادق على أن تلك هي أهدافهم النهائية، ولناخذ أمثلة سريعة موجزة تشير إلى ذلك: فاليهود عليهم لعائن الله تنترى إلى يوم القيامة استقبلوا الإسلام ورسوله ﷺ شر ما يستقبل أهل دين سماوي رسولا يعرفون صدقه ودينهم يعرفون أنه الحق استقبلوه بالفتن والدسائس والأكاذيب والشبهات وقد حكى الله تعالى عنهم ذلك في كثير من آيات القرآن الكريم.

وفي تاريخنا الحديث: يكفي أن نعلم أنهم هم وراء كل كارثة حلت بالمسلمين في كل مكان على وجه الأرض وأنهم وراء كل محاولة لسحق الإسلام والمسلمين في كل مكان بأشخاصهم وذواتهم أو عن طريق عملاتهم وصنائعهم.. وهم أصحاب الدُّور الخبيث في تكوين الفرق الضالة المنحرفة عن الإسلام والدعوة لها.... وهم أصحاب العدوان الأثيم على ديار المسلمين المقدسة التي بارك الله تعالى حولها.

ذلكم هو شأن اليهود أما إخوانهم في الضلال والغي وأوليائهم في الكفر النصارى فإن موقفهم لا يقل إصرارا على العدوان والحرب من موقف اليهود فما إن ظهر الإسلام حتى تناسى الرومان النصارى عداوتهم مع الفرس وعادوا إلى ضلالهم ليواجهوا المسلمين مواجهة عنيفة شديدة.

فالنصارى أصحاب العداوات والحروب للإسلام منذ عهد النبي ﷺ منذ غزوة مؤتة ومن ثم كانت الحملات والهجمات الصليبية على ديار المسلمين. وكانت الخيانة والتجسس على بلاد المسلمين والتعاون مع التتار الوثنيين ومكاتبه قوات الاحتلال الصليبي والتعاون معها ويكفي أن نذكر ما حدث في بلاد المسلمين على أيدي هؤلاء النصارى في زنجبار وفي الحبشة وفي الفلبين وفي قبرص وفي لبنان وفي أوغندا وفي البوسنة والهرسك أخيرا يكفي أن نذكر ذلك لنعلم مدى العداوة للإسلام والمسلمين ومدى الكيد والتآمر والحق.

واليوم كذلك يتعاون أهل الكتاب مع الملحدين في المعسكر الشيوعي ليواجهوا الإسلام والمسلمين وليضربوا كل إشراقة إسلامية صادقة. فهم يتناسون كل خلاف يمكن أن يقوم بينهم إذا ما واجهوا الإسلام والمسلمين فهم دائما (بعضهم أولياء بعض) وهم متعاونون ضدنا متآمرون علينا فلا يزال هذا هو موقفهم في الماضي وفي الحاضر وفي الماضي: تعاونهم مع التتار الوثنيين وفي الحاضر تعاونهم مع الملحدين. فقد نشرت مجلة (الشئون الخارجية) سنة 1985 "FOREING AFFAIRS" مقالا خطيرا كتبه ريتشارد نيكسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق، جاء فيه: "russia and america should join hands to fight the rising tide of islamic fundamentalism". "وترجمة هذه العبارة: روسيا وأمريكا يجب أن تعقدا تعاونا حاسما لضرب الصخرة الإسلامية".

والأمثلة بعد ذلك كثيرة كثيرة تعز على الحصر.

من مظاهر الولاء للكفار:

ولئن كانت كل صور المودة والولاء للكفار بتلك المثابة من التحريم ولئن كانت ولايتهم تعني التناصر معهم والتحالف بكل صوره وأشكاله فإن ذلك يتخذ في عصرنا الحاضر صورا شتى نجد لها أمثلة في أولئك القوم الذين هم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ويزعمون أنهم على ديننا ولكنهم صنعة من صنائع الكفار صنعهم المستعمر الكافر على عينه ورباهم

تربية غربية خالصة في التفكير والسلوك فكانوا أنموذجاً لطليعة التغريب وأمثلة للغزو الفكري وأداة للتقريب بين المستعمر الغربي والمسلمين لتميع موقف المفاصلة وكسر الحاجز النفسي بين المسلمين والكفار وإضعاف عقيدة الولاء والبراء في نفوس المسلمين حتى تسهل السيطرة عليهم وحتى يتم القضاء على منابع العزة ومصادر القوة في نفوسهم. ونجد هذا الذي أشرنا إليه في مجالات كثيرة نجده في مجالات التربية والتعليم عند أولئك النفر الذين يريدون لهذه الأمة أن تخضع لمناهج الغرب الحديثة في التربية والثقافة.

وتجده في وسائل الإعلام المتنوعة مسموعة ومرئية ومقروءة التي تسبح بحمد الحضارة الغربية وتمجدها وتمجد أهلها ودعاتها. وتجده في النشاط المحموم لترجمة أفكار الغرب ونقلها إلينا بغثها وسمينها وفي نشر أفكار المستشرقين والاعتماد على كتبهم ومناهجهم بل والتلقي عنهم واعتناق أفكارهم وترويج شبهاتهم. كما تجده في نشر المذاهب العلمانية اللادينية والأفكار الجاهلية، وفي تقليد الكفار والسير على منهجهم في توافه الأمور وساقطها حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه! .